عظة لأحد المخلع عند بركة بيت حسدا

القديس يوستينوس بوبوفيتش

نقلتها إلى العربية أسرة التراث الأرثوذكسي

المسيح قام! حقاً قام!

في أربع كلمات يُعبّر عن السر الكامل لهذا العالم (والآخَر)، سر كل شخص ، وسرّ كياني، وسر كيانِكم. لو لم يكن هناك رب قائم لما كانت قيامته. لو لم يكن هناك رب قائم لما كنا نحن. ولَما كان هناك مسيحيون في العالم.

كيف غلب السيد المسيح هذا العالم، وكيف غلبت المسيحية هذا العالم؟ أنتم تعلمون أنه في بداية المسيحية، اضطهدت الإمبراطورية الرومانية العظيمة القوية المسيحيين في كل مكان لمدة ٣٣٠ عاماً. لم يدافع المسيحيون عن أنفسهم بالبنادق والطائرات، لا! دافعوا عن أنفسهم بالصلاة ومعونة الله. ولمدة ٣٣٠ سنة حوّلوا الذئاب إلى خراف. تذكروا كلمات المخلص لتلاميذه: "ها أنا أرسلكم كخراف في وسط ذئاب" (متى ١٠:١٦). لقد حدثت معجزة عظيمة أيها الإخوة: تحوّل الذئاب إلى خراف، ولم تأكل الذئاب الخراف، ولم تمزقها وتهلكها. ما هذا؟ ما هذه القوة؟ هذه هي القوة التي سمعتم عنها اليوم في كلام الرسول بطرس عندما قال لإينياس: " قمْ" فقام على الفور (أعمال ٩:٣٤)؛ ولما قال لطابيثا: "قومي" قامت من الموت كما من نوم (أعمال ٩:٤٠). ما هذا، ماذا حدث لهذا العالم؟ لقد أُظهِر سر عظيم، سر هذا العالم وسر الإنسان. ماذا تُظهِر قيامة السيد المسيح؟ إنها توضح أن الإنسان كائن أبدي. هُزِم الموت: هذا ما تعنيه قيامة السيد المسيح. صارت الحياة الأبدية بوفرة لكل الوجود البشري. لهذا جاء الرب إلى هذا العالم.

لطالما كان هذا العالم دائماً تحت قوة الموت الرهيب. ما هو الأمر الأفظع من الموت؟ لا شيء! هذا الكوكب بأكمله، أرض الله المقدسة هذه، كانت جبّانة ولحداً، قبراً هائلاً، والناس يُجتَثّون إلى هذا القبر الواحد تلو الآخر. هكذا أظهر لنا السيد المسيح بقيامته أننا جميعاً كائنات أبدية وأننا مخلوقون للحياة الأبدية. نعم، للحياة الأبدية ولا شيء أقل من ذلك. يقول الرسول بولس: "إِنْ لَمْ يَكُنِ الْمَسِيحُ قَدْ قَامَ، فَبَاطِلَةٌ كِرَازَتُنَا وَبَاطِلٌ أَيْضًا إِيمَانُكُمْ" (١ كورنثوس ١٥:١٤). ما هو المسيح عندنا إن لم يكن قد غلب الموت؟ كيف نختلف إذن نحن المسيحيين عن الآخرين؟ انظروا هنا: اليوم وأمس ودائماً عبر تاريخ الكون، هناك دائماً أناس بواسل، أبطال. لكن مَن هم وما هم؟ بعوض...

وحده الربّ المسيح قاهر الموت ومانح الحياة. في هذا تكمن عظمته الاستثنائية. إيماننا هو إيمان بقيامة السيد المسيح وقيامتنا. قام المسيح أي أننا جميعاً قد قمنا! قام ليمنحنا الحياة الأبدية، ليضمن لنا النصر على الموت، هذا النصر الحقيقي الوحيد في هذا العالم. كل الانتصارات الأخرى هي مجرد مهازئ. يموت ملايين الناس، من أجل ماذا؟ لماذا يموت الناس اليوم؟ ليس للسبب الذي من أجله خلقوا، ليس من أجل الحياة الأبدية، بل من أجل أشياء أرضية قابلة للفساد، بسيطة وتافهة.

عندما ينسى الناسُ الله في جنونهم، وعندما يضطهد الناسُ السيدَ المسيح في جنونهم، ماذا يحدث لهؤلاء الناس، ماذا تكون هذه الأرض عندها؟ هذه الأرض تكون إذن بيت مجانين! اضطهاد السيد المسيح، الكائن الأسمى في هذا العالم، أعظم محبٍ للبشرية - ما هذا؟ هذا جنون، هذيان. نحن البشر، نحوّل هذا العالم، نجم الله الصغير هذا المسمى الأرض، نجعله بيت مجانين. لذلك، كل دينونة للإنسان والبشرية هي عادلة. نحن جميعاً مسؤولون في هذا العالم عن الموت في هذا العالم، وعن الخطيئة في هذا العالم، وعن الشيطان في هذا العالم. ماذا سيحدث لنا إذا باشرنا حرباً على الله؟ نحن دائما أضعف منه. سنكون مهزومين دائماً.

انظروا كم هناك من الأموات، كم هو عدد الجثث عند الشعب الصربي فقط. يرفض الناس السيد المسيح ويرفضون الحياة الأبدية من أجل ماذا؟ ماذا يقدم لهم هذا العالم؟ لكننا نقف مع الرسول بولس من أجل الحقيقة الأبدية: المسيح قام لنقوم نحن أيضاً (١ كورنثوس ١٥:٢٠-٢٣). هذه هي الحقيقة الأساسية بالنسبة لنا كمسيحيين. الكنيسة الأرثوذكسية تمجّد قيامة السيد المسيح، عيده، ليس ليوم أو يومين، بل لأربعين يوماً - حتى الصعود - تمجّد باستمرار قيامة السيد المسيح. وليس في هذه الفترة وحسب: بل تُمجّد قيامة السيد المسيح كل يوم أحد. كل يوم أحد، أيها الإخوة، نتذكر قيامة السيد المسيح. القيامة؟ إنها لا تشيخ في نفوسنا. إن قوة السيد المسيح تنسكب علينا من خلال قيامته المقدسة، من خلال هذا الفرح اللامتناهي.

سمعتم اليوم من القراءة من القديس يوحنا اللاهوتي ما قاله عن السيد المسيح: "الَّذِي سَمِعْنَاهُ، الَّذِي رَأَيْنَاهُ بِعُيُونِنَا، الَّذِي شَاهَدْنَاهُ، وَلَمَسَتْهُ أَيْدِينَا، مِنْ جِهَةِ كَلِمَةِ الْحَيَاةِ.. رَأَيْنَا وَنَشْهَدُ وَنُخْبِرُكُمْ" (١ يوحنا ١:١-٢). بهذا نشهد لك أيها السيد المسيح الذي يهب الحياة الأبدية. نحن، مثل تلاميذه، تناولناه بأيدينا. إن المسيحية التي اضطُهدت منذ ما يقرب الألفي عام أصبحت أقوى من كل الأشياء الأرضية. ستأتي الكثير من الكوابيس والعواصف، لكن كنيسة المسيح ستبقى ولن تهلك. الناس يموتون ولكن ليس الكنيسة! الناس يموتون ولكن ليس الكنيسة! يقول القديس يوحنا اللاهوتي ، وهو الرجل الذي شهد ويشهد بكل كيانه وكل قناعته بأن المسيح هو إله-إنسان: إذا كنت تريد أن تقتني الحياة الأبدية، فآمِنْ بالسيد المسيح، بقيامته، بما فعله (أنظر ١يوحنا ٥:٥، و ١٢-١٣).

انظروا إلى الرسول بطرس كيف يقيم الناس ويصنع المعجزات. الأغنام تحوّل الذئاب إلى أغنام وحملان. يقوم القديس باسيليوس أوستروج اليوم أيضاً بعمل المعجزات، كما القديس بروكوروس باتشينيا، وجميع القديسين (الصرب) الذين لا حصر لهم. كيف هذا؟ من قيامة السيد المسيح، من العيد الذي نحتفل به لمدة أربعين يوماً مع كل أحد على مدار السنة بأكملها. هذا ما يدعمنا نحن المسيحيين في هذا العالم. نحن نضحك من مضطهدينا. لا نخاف الموت، نحن أبناء الربّ القائم من بين الأموات، لأنه أعطانا القوة والقدرة لنهزم كل ما يفصلنا عن الله، يبعدنا عن برّه وحقه وصلاحه.

ليثبتنا الرب الصالح القائم من بين الأموات من خلال تلميذه القديس يوحنا، من خلال والدة الإله القديسة، ومن خلال جميع القديسين، في هذا الإيمان بقيامة السيد المسيح، بقيامتنا، بحقيقة أننا كائنات أبدية. إن دعوتنا في هذا العالم هي إظهار قيامة الأموات والانتصار على الموت. يختبر كل منا هذا الانتصار على الموت

عندما نعيش بحسب الإنجيل، وعندما نجتهد في الإيمان بالرب وبالمحبة والصلاة لنتمم حياتنا. كل هذا، المحفور بعمق على أرواحنا، سيقودنا إلى الحياة الأبدية.

Source: St. Justin Popovich. Homily on the Sunday of the Paralytic at the Pool of Bethesda. Delivered on the Sunday of the Paralytic and the Feast of Saint John the Theologian at the Ćelije Monastery on May 8, 1978. http://ishmaelite.blogspot.com/2009/05/fr-justin-on-sunday-of-paralytic.html